أحلام أم «جوانا» والنيباري!

كانت «جوانا» في الثالثة من العمر عندما قررت أمها أن تحضر لها مدرسة تعلمها العزف على آلة البيانو، تبين للمدرسة، بعد عدد من الدروس، أن لدى الصغيرة استعدادا طيبا لتعلم العزف، وكان ذلك الخبر مصدر فرح وفخر كبيرين لوالدتها.

كانت الأم تعمل في المطبخ في صباح ذلك اليوم الشمس الجميل عندما بدأ ينساب الى مسامعها صوت عزف على آلة البيانو صادر من صالة البيت، حيث تركت ابنتها تلعب هناك. رقة العزف وبطؤه الواضح جعلاها تتذكر ما قالته مدرسة البيانو عن قدرات صغيرتها، وبدأت تفكر جديا في ان تزيد من عدد دروس العزف المخصصة لها، وربما تحضر لها مدرسة أكثر كفاءة. ازداد العزف رقة وازداد «سرحان» الأم بأفكارها عن مستقبل ابنتها وما ستحصل عليه من شهرة عالمية ترفع بها اسم بلدها عاليا في كافة المحافل الدولية.. وفجأة، والعزف الجميل لم يزل مستمرا، أحست بابنتها تقف بجانبها تشدها من ملابسها لتخبرها بأنها جائعة!!! توقفت فجأة مشاريع الأم المستقبلية لابنتها وانهارت أحلامها، بعد أن تبين لها أن ما كانت تسمعه من عزف جميل كان صادرا من الراديو ولم يكن عزف ابنتها التي اعتقدت ولوهلة بحقيقة موهبتها.

تذكرت تلك القصة قبل أيام في طريقي الى المكتب، بعد أن استعرت سيارة زوجتي، فما أن أدرت مفتاح راديو السيارة الا وبدأت بسماع حديث لم أكن أتوقع سماعه من اذاعتنا المحلية الرسمية. أخذت أسترق السمع لذلك الصوت ذي النبرة الواضحة فتبين لي بأنه صوت النائب الفاضل عبدالله النيباري!!! ولم أتعجب في البداية من سماع صوته، فقد بدأت «بعض» الصحف تتحدث مؤخرا عن قرب موعد عودته سالما الى أرض الوطن، بعد رحلة العلاج التي قام بها اثر تعوضه والسيدة حرمه لمحاولة الاغتيال القذرة التي كادت ان تودي بحياته وحياتها، واعتقدت أن الأمر لا يخرج عن مجرد مقابلة اذاعية عادية معه، ولكن سرعان ما «ارتفعت حواجبي الى الأعلى» دهشة مما كنت أسمعه من حديث طال الكثير من رؤوس الفساد في البلاد، واستغربت كثيرا من جرأة مقدمي ذلك البرنامج الصباحي، وأصبحت أتخيل نوعية العقوبات التي سيتعرض لها العديد من مسؤولي الاذاعة من جراء هذا اللقاء، وبدأت سخونة الحديث ترتفع أكثر، وهنا أدركت أن عليّ أن أفعل شيئا وأن أخبر أحد الأصدقاء عن هذا «الحدث»، وذلك الانقلاب في سياسة الدولة واذاعتها الرسمية.

بدأت بالاتصال بأحدهم وأخبرته بالموضوع فأنكر حدوثه فقمت بتقريب سماعة الهاتف من راديو السيارة ليستمع للصوت وللحديث بنفسه فكرر استنكاره وطلب مني أن أذكر له رقم البث المبين على شاشة الراديو الصغيرة ليقوم بالاستماع للحديث بنفسه، وعندما نظرت الى تلك الشاشة ولم أجد أي رقم واضح عليها اكتشفت أنني كنت أستمع لشريط مسجل لأحدى خطب النائب «النيباري» المشهورة والتي ألقيت أثناء حملته الانتخابية الأخيرة والذي، ربما، كانت تستمع له زوجتي قبل أن أستعير منها سيارتها، وبقي الشريط بداخل الراديو، ولم يخرج من مكانه كالعادة!!، وقد اكتشف ذلك الصديق، بعد أن أخبرته بما حصل من لبس، نوعا جديدا من (خداي الكويت)!!استمررت في الاستماع الى بقية الشريط، وكررت الاستماع الى أكثر من فقرة منه ولأكثر من مرة، وبالرغم من اعتقادي بأنني كنت موجودا في تلك الندوة التي تم تسجيل محتويات ذلك الشريط منها، الا أنني لم أكن أعلم حقيقة مدى خطورة ما قيل بها من حقائق وأحداث وقراءات مستقبلية وما تضمنته من شفافية غريبة، ولم يكن أحد يتصور أن ما قيل في تلك الندوة و في غيرها كان من الممكن أن يؤدي الى ما أدى اليه من تبعات خطيرة على أمن وسلامة النائب النيباري وعائلته وعلى مجمل الحياة السياسية في البلاد والتي ستبقى آثارها باقية لفترة طويلة مقبلة، واكتشفت حينها أن ما تعرض له ذلك الرجل الصلب والعنيد من اعتداء آثم لم يأت من فراغ، بل كان نتيجة حتمية لما قام به من عمل جبار في كشف كبار رؤوس الفساد وصغارهم في البلاد.

نحييّ اليوم عودة السيد النائب عبدالله النيباري سالما معافى الى البلاد ونأمل أن يشاركنا الجميع الترحيب به ولقاءه في المطار مساء هذا اليوم.

أحمد الصراف